التاريخ والفضاء المتخيل في روايات واسيني الأعرج

د. فاطمة مختاري
جامعة عمار ثليجي الأغواط.

ملخص :

عرفت الرواية العربية تحولات جذرية على مستوى المضمون، حيث تناولت القضايا الحياتية ومتغيراتها السياسية والاجتماعية، وانفتحت على أجناس أدبية عديدة تغترف من معينها الذي لا ينضب لتبدأ مرحلة جديدة من التجريب الروائي.

ومن بين الكتّاب الجزائريين الذين خاضوا غمار التجريب في الرواية الكاتب الفذ واسيني الأعرج الذي وظف التاريخ سعيا منه لتشكيل بناء نصي روائي متحرر من الثبات التقليدي وغير مقيد بأغلال الجاهز والسائد.

الكلمات المفتاحية : الكتابة ـ الرواية ـ التاريخ ـ المتخيل ـ الواقع ـ التجريب .

Abstract : The Arabic novel knows radical transformation concerning the content, whereas, it dealt with daily life issnes and their political and it opened up on many literary genes taking from their content that don't end and a new period of expirental narration occurred.

Among the Algerian writers who experienced the experimental narration was the veteran writer wassini laaradj who employed history seeking to build a narrative script which is liberated from the traditional stability and not to what is ready and common.

Key words:writing _novel _history _ imagenary _ reality_ experimental.

مقدمة:

عملت الرواية العربية المعاصرة على توظيف التاريخ للتنظير للواقع فتناولت القضايا الحياتية ومتغيراتها السياسية والإجتماعية والثقافية، وبينت الصراع الإنساني في جوهره الحقيقي، بحيث راحت تعمق صلتها بالحاضر والواقع المعيش، "ولم تعد تبدي ذلك الإهتمام المرضي بالحادثة التاريخية، بقدر اهتمامها بما تمنحه الحادثة للراهن"[1]، فأضحت نصا روائيا يستلهم التاريخ ويوظفه وفق بنية فنية خاصة تمزج بين الماضي والحاضر، لتعبر عن رؤية

[1] محسن يوسف، **نحو ملحمة روائية عربية (دراسة في مدارات الشرق)**، دار الحوار، سوريا، ط 1، 1991، ص10

الكاتب التي تتعرض لمعاناة الإنسان في عالمه المعيش (الحاضر)، الذي تسعى لتغييره نحو الأفضل.

لقد حاولت الرواية البحث عن الدوافع والأسباب الفعلية للسلوك الإنساني من منطلق تاريخي يشبه الواقع ويحاكيه "إن الهيمنة الفنية على التاريخ تعني إمكانية المبدع تعميم خصوصية الحاضر، بإيلاء الأهمية الملموسة (التاريخية) للزمان والمكان، والظروف الإجتماعية والنظرة إلى الإنسان بوصفه نتاج نفسه، ونتاج نشاطه في التاريخ، مما يؤدي بالضرورة إلى اعتبار فكرة التقدم الإنساني قانونا تاريخيا وفلسفيا محسوسا"[1].

ارتبطت الرواية المعاصرة بالواقع ارتباطا كبيرا في ظل الأحداث التي شهدها العالم العربي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين والحروب المدمرة التي عرفها العالم عامة، ونتائجها السلبية التي أدت إلى تقسيم الأمة العربية وإضعافها واغتصاب أراضيها، وإقامة دولة الكيان الصهيوني، فاتجه الكثير من كتاب الرواية ـ في ظل الأحداث السياسية المتصاعدة في العالم العربي ـ إلى البحث عن نماذج مشابهة لواقعهم المعيش ليسقطوها عليه،محاولين بث الأمل في نهضة شعوبهم وأمتهم من جديد رغم كل المحن ورغم الهوان والضعف من خلال تقديم نماذج تاريخية متميزة وحقيقية ومشرقة بغية الاحتذاء بها لتغيير هذا الواقع المأساوي.

ومن الضروري أن نفرق بين الرواية التاريخية التي توظف التاريخ كمادة في الرواية العربية المعاصرة وبين الرواية المعاصرة، فمصطلح الرواية التاريخية يدل على أن التاريخ هنا صفة للرواية، تتحدد في ظلها معالم الموصوف، أي أن الرواية فقدت خصائصها لصالح التاريخ الذي يهيمن بخصائصه على الرواية ويطبعها بطابعه على مستوى السرد والشخصيات والبيئة وطريقة الحكي، فمثلا الشخصية في الرواية التاريخية لا تحيل إلا على ذاتها حيث تبقى أسيرة التاريخ وتظل بمعزل عن مشاركة القارئ الذي يجد قاسما مشتركا بينه وبينها ، أما الشخصية في الرواية المعاصرة لا تبقى أسيرة مرجعيتها التاريخية بل

[1] عبد الرزاق عيد، **الرواية والتاريخ**، دار الحوار، سوريا (د.ت) ، ص.7

تتصرف بالطريقة التي يمليها عليها السرد الروائي وتسلسل الأحداث حيث تتحول الشخصية التاريخية إلى شخصية روائية تخضع لمنطق جديد يمليه عليها الخطاب الروائي.

كما أن الرواية التاريخية تستمد خصائها من طبيعة الخطاب الذي يراعي التسلسل الزمني في تقديم الأحداث وعرضها في خط تصاعدي له بداية ونهاية، بعكس الرواية المعاصرة التي لا تتقيد بالتسلسل الزمني بين الأحداث بالإضافة إلى تسريع الأحداث وبطئها وتداخلها.

يذهب الدكتور سعيد يقطين إلى أن " الرواية التاريخية والرواية المعاصرة كلتاهما توظف التاريخ ولكن الفرق بينهما يكمن في طريقة توظيف التاريخ، فإذا كان الخطاب التاريخي يسيطر على الرواية التاريخية ويطبعها بطابعه، فتبدو الشخصية سطحية وذات بعد واحد، بالإضافة إلى الفردية التي تطبع الصيغة السردية والرؤية السردية في الرواية التاريخية، فإن الرواية المعاصرة تخضع الخطاب التاريخي لسيطرتها، فتقدمه بطريقة جديدة تناسب و طبيعة الخطاب الروائي"[1].

إن التاريخ هو مادة كل رواية، بل إن أكثر الكتابات كالرواية والشعر والأعمال الأخرى مثل المسرح والرسم والسينما وغيرها نابعة من التاريخ، أما توظيف الرواية للتاريخ سببه الأول أنها فعل تخييلي بالرغم من تركيزها على وقائع تاريخية ثابتة، أي أن الرواية لا تتناص مع التاريخ إلا للضرورات، أما السبب الآخر يعود إلى محاولة بعض الباحثين في الأدب الفصل بين المادة التاريخية المعتمدة في الرواية، وبين المادة الروائية التخييلية، إذ وجدوا أن عمل المؤرخين الذين دونوا تلك الأحداث يأخذ من العمل السردي المساحة الكبرى، ومن هنا تعد الرواية اختزالا لحدث تاريخي كبير مستثنيا الرواية التاريخية التي تعد تصنيفا مكرسا.[2]

---

[1] سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1،1979، ص 45 .

[2]. المرجع نفسه نقلا عن مسعودي العلمي، **الفضاء المتخيل والتاريخ في روايته كتاب الأمير**، شهادة ماجستير، ورقلة- الجزائر-، 2009.2010، ص 28

يتمتع الكاتب الروائي بحرية أكبر من المؤرخ في ابداء رأيه الذي لا يؤثر على كتابة التاريخ وتسجيل الوقائع، فهو محلل يتمثل دوره في استخراج الأهداف والغايات التي تنير طريق البشرية من جديد نحو الخير والاستفادة من دروس التاريخ معتمدا على أدوات فنية تندرج في خانة الأدب الروائي والقصصي.

ومهمة الروائي تتمثل في صناعة خطاب عن التاريخ مغاير لخطاب المؤرخ، فالروائي هو القادر على قراءة الأحداث وكتابة تاريخ ممتزج بالخيال في محاولة لإسقاطه على الحاضر، واستنطاق الشخصيات التاريخية وتحويلها إلى شخصيات روائية ودفعها إلى الكلام، والكشف عن أعمالها وسبر أغوارها.

إن توظيف التاريخ في الرواية المعاصرة جاءت نتيجة رغبة كتاب الرواية الحديثة في خوض مغامرة التجريب، والسعي لتشكيل بناء نصي روائي متحرر من الثبات التقليدي، وغير مقيد بأغلال الجاهز والسائد.

كتبت الرواية العربية التاريخ المعاصر الذي لم يكتبه المؤرخون، متطلعة إلى تاريخ سوي محتمل وحالمة بمدن تعطي الرواية قراءة مجتمعية، تقدم إجابات بقدر ما تطرح أسئلة، ومن أجل ذلك غدت الرواية عملية استبطان مستمر لاستجلاء اللحظات التي ينشق فيها الإنسان عن ذاته ويحاور أشياءه.

تكمن أهمية تجريب التاريخ في الرواية في خصوصية طرحه ونضاله من أجل اكتساب حقه في الاحتجاج على الوعي الجمالي السائد، وما يتضمنه هذا من جدل يقوم على نقض الوعي الاجتماعي بعد استيعابه في مستوياته المتشابكة السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والفنية كما تكمن أهميته في لحظته الآنية وما يطرحه منها أو يطرحه عليها.[1]

مما لا شك فيه أن توظيف المادة التاريخية في الرواية لم يكن وفق طريقة موحدة، وإنما تباينت طرق التوظيف تبعا لطبيعة الرؤيا التي يسعى إلى تقديمها كل مبدع، فمنهم من التزم بالمادة التاريخية دون أن يغلب الحقيقي على المتخيل، أو المتخيل على الحقيقي، بغية

[1] ينظر الخامسة علاوي، **التاريخ وأدبيات التجريب في الرواية الجزائرية**، كلية الآداب ، قسنطينة (د.ت) ، ص 5.

تقديم رؤيا تخص الماضي وحده كما فعل جورجي زيدان في جل رواياته، ونجيب محفوظ في رادوبيس، ومنهم من يغلب المتخيل على الحقيقي فيذوب التاريخ، ويبرز الفن حاملا رؤيا تخص الحاضر وحده دون المستقبل كما نجد في ثلاثية نجيب محفوظ والقاهرة الجديدة، وكل هذا يعلي من شأن الرؤيا ويقربها من درجة المعيار المعبر عن موقف الروائي مما يرويه.

إن إدخال النص التاريخي في النص الروائي يتم وفق طريقتين:[1]

1- النص التاريخي خارج السياق النصي: حيث يتم بث المادة التاريخية في مقدمة الرواية أو في مقدمة الأجزاء والأقسام أو في الهوامش، كما نجد ذلك في رواية "التبر" لإبراهيم الكوني التي صدرها بنصين الأول ديني والآخر تاريخي منتزع من كتاب "مملكة مالي" لابن فضل الله العمري.

2- النص التاريخي داخل السياق النصي: وتتجسد في شكلين أحدهما أن يرد النص التاريخي في السياق النصي على شكل بنية سردية مستقلة محصورة بين قوسين صغيرين كما نجد ذلك في " رمل الماية " لواسيني الأعرج، والأخرى تماهي النص التاريخي داخل الروائي كما هو الحال في رواية هاني الراهب " ألف ليلة وليلتان " بحيث يصبح كلام الشخصية الروائية التي تسرد أحداث التاريخ إما بوصفها شاهدة عليها، وإما بوصفها شخصية مثقفة اطلعت على أحداث التاريخ.

ولكي ينجح الخاطب الروائي في إخضاع المادة التاريخية لسيطرته لا بد من إحداث تغيير في الخصائص المميزة للسرد التاريخي مثل هيمنة ضمير الغائب والفعل الماضي، ومراعاة التسلسل الزمني للأحداث، وتقديم الخطاب التاريخي بطريقة جديدة تتناسب وطبيعة فعل الكتابة الروائية وهو ما يسهل على القارئ الانخراط في مستواها التخييلي معيدا تشكيلها، وتتحقق انتاجية النص تبعا لإمكانياته في استثمار عناصر التاريخ وجعلها وسيلة

[1] ينظر المرجع نفسه ، ص 6.

لفهم الحاضر وتجاوز تعقيداته وتحديد خصوصياته، وهذا ما يجعل نص الرواية يحقق أبعاده الفنية والدلالية المتميزة.

وكاتب الرواية يعود إلى الماضي ويستعيده من خلال كم هائل من المعلومات والوقائع والتفاصيل ويتحمل هذا الجهد والعناء لأنه مسكون بها حبس معاصر يريد التعبير عنه، فالروائي هو مؤرخ المستقبل لأنه وحده من يستطيع التقاط جوهر حركة الناس والأشياء من الوقائع السالفة والراهنة واستشراف طريق المستقبل من خلالها، فالتاريخ ليس مادة منتهية وجامدة، بل هو ممارسة فكرية واعية في خدمة الحاضر، وفتح آفاق إيجابية للأجيال القادمة، "فكلما قرأ التاريخ، كلما كان هناك فرصة لفهم الذات، وفهم الذات ضروري لأخذ العبر وتقدم الشعوب"[1].

يعتمد بعض كتاب الرواية الى إعادة كتابة التاريخ تبعا لقناعاتهم واتجاهاتهم الحزبية من جانب ومن جانب آخر قد يعمد بعضهم لتشويه التاريخ وتحويره تحقيقا لرغبة الحكام والأقوياء وأصحاب النفوذ، وعلى الروائي المعاصر أن يكون عبقريا وواعيا فيسائل الماضي برؤية جديدة ومغايرة.

على أن خصوصية كل روائي في التعامل مع المادة التاريخية تبقى تميزه عن غيره، وإن تقاطعت في جوانب عديدة، ولعل هذا يعود إلى طبيعة الموضوع الذي استوقف قريحة الراوي وشد انتباهه في مرحلة متأزمة في ماضيها القريب، وتصاعد أزمتها يوما بعد آخر.[2]

إذا أخذنا الرواية الجزائرية كنموذج لتوظيف التاريخ نجد أنها سلكت نمطين من الكتابة تمثل الأول في رواية " الشخصية التاريخية" والصنف الآخر هو رواية " الحدث التاريخي "وكلا النمطين يستقصيان المعلومات المستجمعة حول الموضوع المستهدف سواء أكان الحدث أم الشخصية .

[1] قاسم عبده قاسم، **إعادة قراءة التاريخ**، وزارة الإعلام، الكويت، ط1، 2009، ص 82.

[2] ينظر نورة بعيو، **اشكال وتقنيات توظيف التاريخ في الرواية العربية المعاصرة**، مجلة الخطاب ،العدد09، 2011، جامعة تيزي وزو. ص 49.

إن الكتاب الذين يختارون شخصية تاريخية في كتاباتهم نجدهم ينهمكون في توثيق الأحداث والبحث والتنقيب عن المعلومات والوثائق والمراجع التي تخص هذه الشخصية كما فعل واسيني الأعرج في روايته عن الأمير عبد القادر، أما من يبحث وراء الحادثة وأسبابها وملابساتها، فإنه لا يلتفت إلى الخصوصية الزمنية التي وقعت فيها كما نجد ذلك في رواية " مملكة الفراشة " لواسيني الأعرج، وأغلب من يسلك هذا المنحنى التأريخي والتوثيقي في الكتابة يكون قد أخل بتقنيات التخييل في الرواية التي يفترض أن تتقيد بمتطلبات صنعتها.

يعد الكاتب الجزائري واسيني الأعرج من بين أهم الكتاب الذين اتخذوا من التاريخ مادة لرواياتهم ومن بين أهم تلك الروايات نذكر: "كتاب الأمير" ،"سيدة المقام" ،"شرفات بحر الشمال" ،"رمل الماية" ،"ما تبقى من سيرة لخضر حمروش"، "نوار اللوز" وغيرها.

لقد كانت الثورة التحريرية الجزائرية وأحداثها التاريخية مادة خصبة استقى منها جل الكتاب الجزائريين على العموم، وواسيني الأعرج خصوصا مواضيع رواياتهم، نظرا لما تتسم به من كثافة وعمق وتضحيات جسام "مما أوكل إليها صفة المرجعية الأساسية في بنية الحدث الروائي وفضاءاته المتداخلة "[1].

في رواية " ما تبقى من سيرة حمروش" يسلط الروائي الضوء على ما كان من صراع أيام الثورة بين اليمين واليسار، وانعكاسات ذلك على الثورة وتاريخها، فسيرة "لخضر حمروش" في هذه الرواية تمثل معادلا موضوعيا للمسيرة النضالية التي قادها في مرحلة الثورة الجزائرية الثوار{الشيوعيون}.

لقد استرجع البطل في مسيرة هذا المناضل الشيوعي كفاحه واغترابه في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وتشبعه بأيدولوجيته ومعاصرته للصراعات الفكرية في فرنسا، محاولا الرجوع إلى الماضي والنبش فيه ليمارس عليه الإسقاط الواعي المدروس، ويتنبأ تبعا لمعالجته الفنية للآتي برؤية فنية تعكس وجهة نظر كاتبها التي تشكل الحجر الأساس

[1] محمد بويجرة، **بنية الزمن في الخطاب الروائي اجماليات واشكالات الابداع**، دار الغرب للنشر، وهران، 2001، ص 123.

لأي عمل، فنجد السارد قد شدد على صمود شخصية "حمروش" حين خيرته الثورة بين التنازل عن حزبه أو الموت، فاختار الاختيار الثاني حتى يضمن بقاء الفكر الشيوعي، ويضمن استمراريته.

إن مهمة الكاتب هنا ليس بالأمر الهين، فهو عمل شاق ومغامرة محفوفة بالمخاطر، حيث إن عليه القيام بدور المؤرخ دون أن يتقيد بقيوده، لأنه ينطلق من وجهة نظر بعينها، كما أن عليه أن يقولب الواقع وأحداثه في قوالب درامية تتضمن التشويق معتمدا على حبكة متينة تستند على تقنية التفكيك " ذلك أن الروائي عندما يلجأ إلى استحضار النص التاريخي يقوم بتفكيك بنيته في بنية النص التاريخي الذي لا يسمح لها أن تخرج أو تتجاوز حدود الكتابة الأدبية"[1] .

وعلى الرغم من تعالق الرواية بالتاريخ إلا أن الروائي واسيني الأعرج كان وفيا لمقومات الفن الروائي، لأنه يستند للخطاب الإنشائي الذي يقول التاريخ بشكل مختلف ومغاير " فالرواية التاريخية تغدو أكثر صحة من التاريخ وإن شئنا قلنا أن الرواية التاريخية صحيحة على نحو مغاير"[2].

في رواية "الأمير" استطاع الأعرج أن يقدم لنا سيرة بطل من أعظم أبطال المقاومة الشعبية، ألا وهو الأمير عبد القادر، حيث أعاد الكاتب كتابة التاريخ وتركيبه بطريقة نقدية جمالية، فقد استدعى الكاتب التاريخ المغيب والمنسي والذي أراده أن يكون موضوعا للرواية، وليس التاريخ المعروف لدى العامة، فقد اختار الكاتب "جون موبي" ساردا لأحداث ووقائع روايته عن طريق الاستذكار وتكسير خطية الرواية التقليدية معبرا عن شخصية الأمير ومواقفه، فقد كان متشبعا بأصول الدين الإسلامي، وكانت له نظرة خاصة اتجاه المسيحية/ الآخر، وهذا يعبر على روح الإسلام السمحة ورقيه وصلاحيته لكل زمان، عكس ما هو موجود من تطرف وصراع في الوقت الراهن، فقد

[1] واسيني الاعرج، **أوهام الحقيقة**، مجلة الثقافة الجديدة، 2015، ص 23

[2] القاضي محمد، **الرواية والتاريخ**، مجلة فصول، ج 16، ربيع 1998، ص 43.

استطاع الكاتب أن يجعل من الشخصيتين البارزتين في الرواية وهما شخصية" الأمير عبد القادر" و شخصية" مونسينيور دي بوش" نموذجين يحتذى بهما في الدعوة إلى الخير والسلام.

ركزت رواية "الأمير" على التاريخ النضالي للأمير عبد القادر خلال الفترة ما بين 1830 – 1847، كما نقلت لنا كفاح الشعب الجزائري ومقاومته للاستعمار، معتمدا في ذلك على التوثيق بالقرائن الدالة على حضور المرجع التاريخي في الرواية، ومن هذه الوثائق "صك البيعة" المحرر في 13 رجب 1248 ه الموافق ل 28 نوفمبر 1832، الذي وضعه الكاتب بين علامتي تنصيص وبخط سميك، ومما جاء فيها "..أن أهل مناطق معسكر وأغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واتحد بهم...قد أجمعوا على مبايعتي أميرا عليهم وعاهدوني على السمع والطاعة في اليسر والعسر وعلى بذل أنفسهم وألادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله، وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم"[1].

لقد كانت هذه الوثيقة سندا تاريخيا ومنطلقا للكثير من الأحداث التاريخية التي أعاد الروائي صياغتها بطريقة فنية يمتزج فيها التاريخ والتخييل.

كما يكتشف صك البيعة عن حالة من التفكك والتمزق والشتات التي كانت عليها القبائل الجزائرية وقتئذ، وحالة الانقسام الجمعي بين مؤيد للأمير ومقاومته للاستعمار الفرنسي، ومعارض لا يتوانى في معاداته والتآمر على حكمه، مما جعل المقاومة في ظل كل تلك الظروف ضعيفة ومحدودة أمام ما تملكه الآلة الاستعمارية الفرنسية.

استطاع الأعرج بطريقة متميزة إعادة كتابة التاريخ بفلسفة معاصرة، معبرا عن الوعي الذاتي، فقد عبرت رواية "الأمير" عن وقائع الزمن الغابر، ومواجهات الذات (الأنا) مع (الأخر) التي عادت إلى الواجهة في فضاء يطبعه ويصنعه الصمت، هذا المتن الروائي عبر عن نفحات الأنا الجزائرية من فخر واعتزاز ومجد وما لقيته من الآخر الغازي، وكشفت لنا عن حقيقة النضال من أجل نيل الكرامة، وعبرت عن جوهر الإنسانية في أرقى

[1] واسيني الأعرج، **كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)** دار الفضاء الحر، الجزائر، 2004، ص77.

معانيها وأخلاقها وشرفها من خلال شخصيتي "الأمير عبد القادر" والقس الفرنسي "مونسنيور".

يطرح الكاتب في هذه الرواية الأزمة الحضارية في البلاد العربية التي تنبع من نظرتها الدونية للآخر (الغرب)، ويحاول إعادة بناء الأنا (الذات) التي تعتقد امتلاك الحقيقة المطلقة، بتغيير النظرة إليها وإلى الآخر، كما يشرح لنا الروائي الظروف الصعبة التي مر بها الأمير، والتي وقفت حجر عثرة في وجه الأمير وفي تحقيق مشروعه التغييري، وبناء دولته القوية في ظل غياب الاستقرار والسلم وهما أهم ركيزتين يحتاجهما هذا البناء لإكتماله.

يكشف لنا الكاتب عن الصراع الذي عاشه الأمير، والنابع من رؤيته للحاضر وقراءته للمستقبل فالحاضر غارق في الرجعية والجهل والظلام، في مقابل زمن مستقبلي يرتكز على العلم والتحضر اللذين يجب أن نتحلى بهما إذا أردنا الاستمرارية والبقاء " أصبحت للحروب لغة أخرى لم يكن قادرا على اتقانها، كان يمكنه أن يحمل سيفا ويظل يخترق به الهواء والفراغات، ويحارب المهزومين، الذين بايعوه اليوم، خانوه غدا؟.."[1].

لقد أدرك الأمير لماذا خسر حربه الأخيرة "العالم كله يتغير بعمق وبسرعة، لم يعد السيف والشجاعة يكفيان، فالمدافع ضخمة والآلات السريعة، والسفن والعوامات البخارية التي تجوب الوديان والبحار وتنقل آلاف الناس والجيوش المجهزة والمنظمة غيرت كل الموازين، الناس يشبهون عصورهم"[2].

لم يغب موضوع الثورة عن كاتبنا في روايته "نوار اللوز تغريبة صالح بن عامر الزوفري" ، حيث يتذكر بطل الرواية زمن الثورة قائلا: " آه يالزمن الفايت، كم كنت قاسيا وعذبا"[3]، هذا التذكر الذي يدفعه للحزن والخيبة "تذكرت الزمن الفائت الذي مازال يعذبنا... نفس

[1] واسيني الاعرج، **كتاب الأمير**، ص455.

[2] المصدر نفسه، ص .456

[3] واسيني الاعرج، نوار اللوز، **تغريبة صالح بن عامر الزوفري**، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1982، ص77

اللحظة مع اختلاف الزمن فقط"[1]، فهذا الزمن ورغم قساوته إلا أ نه يمثل زمن الحرية والموت في سبيل الوطن.

يستثمر التناص في رواية "نوار اللوز، حيث نجد أن هناك تناصا مع تغريبة بني هلال ومع كتاب (إغاثة الأمة يكشف الغمة) للمقريزي، وذلك عبر المفارقة عبر المعارضة التي تعد وسيلة من وسائل كسر التقديس التراثي، ورفض وطأة التقاليد، دون إنكار ماله من قيمة[2] .

تجري أحداث الرواية بين أمستردام والجزائر أيام الثورة الزراعية والتحول الإشتراكي، حيث تبدأ لعبة المفارقة عبر المعارضة، لتتواصل بين بني هلال وبني كلبون ـ كما سماهم واســـيني الأعـــــرج ـ حيث يقابل صالح بن عامر الزوفري أبا زيد الهلالي، وتقابل لونجا (حبيبة صالح الزوفري) الجازية الهلالية، وكل ذلك يأتي فيما بين التغريدة المتعلقة بجماعة، ونمط الرحلة المتعلقة بفرد هو "صالح الزوفري" الذي تحول من مجاهد في الثورة إلى مهرب على الحدود الجزائرية المغربية.

يأتي التناص في هذه الرواية مع أحداث من تغريبة بني هلال ومع اللغة الهلالية، كما نجد فيها تعدد الرواة في تدخل وانفصال للراوي مع "صالح الزوفري"، مقابل تداخل وانفصال للقوال مع أبي زيد في تغريبة بني هلال، وقد استقى الكاتب موضوع هذه الرواية وحتى لغتها من رواية " زمن النمرود" للحبيب السايح[3]، كما تتعدد التقنيات في هذه الرواية ، ويتجلى الخط التجريبي عند كاتبنا في رواية "نوار اللوز" وباقي رواياته الأخرى التي تنم عن قدرة فائقة على اللعب باللغة من خلال الارتقاء بها الى أعلى المستويات الفنية، ومحاورته لمختلف الفنون والحضارات.

تناولت روايات واسيني الأعرج محنة الجزائر ما بعد الثورة، حيث اقتحمت الأزمة التي مرت بها الجزائر كتابات الأعرج لما خلفته هذه الأزمة من عنف وجراح عميقة رسخت

[1] المصدر نفسه، ص 4/87 ينظر سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي، ج فصول ، ج2، ع2، القاهرة 1982، ص144

[2] ينظر سيزا قاسم ، **المفارقة في القص العربي**،مج فصول،مج2،ع2،القاهرة،1982، ص144.

[3] ينظر نبيل سليمان، **جماليات وشواغل روائية**، اتحاد الكتاب العرب، سوريا 2003، ص 06.

بالأذهان وتركت جراحات عميقة، حاولت الرواية نسجها بخيوط الأمل والألم باستثمار أدوات جديدة.

ركز كاتبنا على الأحداث التاريخية والمعاصرة المتعاقبة على الجزائر، فوصف أحداث الثورة والحروب الأهلية بعد الاستقلال وبالتحديد في فترة الثمانينيات، فكتب رواية "البيت الأندلسي" التي يقول عنها أنها "اختزال للحالة المزرية التي وصلت إليها البلاد"[1].

عبر الكاتب في هذه الرواية على الحرب الأهلية وويلاتها ونتائجها، حيث سرد لنا الحرب الأهلية في اسبانيا التي أعادت إلى مخيلته حرب "البشرات" التي قادها جده مع "محمد بن أمية"، ويشير إلى أسباب نشوبها مصورا أحداثها والأثر النفسي الذي تركته تلك الحرب رابطا بينها وبين حرب أكتوبر 1988 في شكل ضمني في إشارة إلى اهتمام الكاتب بالبعد الرمزي والدلالي للحرب الأهلية الإسبانية والإتكاء عليها في تأويل بعض الأحداث، "هناك حروب نعرف سلفا أنها خاسرة ومع ذلك نخوضها لا لربحها، ولكن لتأخيرها مهالكها قليلا"[2].

استلهم الأعرج في رواية " البيت الأندلسي" تاريخ الموريسكيين مستندا على كتابات المؤرخين عن حرب " البشرات" وطرد وتهجير الموريسكيين إلى بلاد المغرب العربي، ووصف حالهم عند وصولهم إلى الجزائر، كما تحدث عن فترة الحكم التركي للجزائر.

ولعل توظيف قضية الموريسكين في هذه الرواية جاء توظيفا رمزيا في إشارة إلى سياسة الطرد القمعي والمتعسف والتهجير القسري الذي تواجهه الشعوب في أوطانها، ورغم هذا التهجير بقى الموريسكيون محافظين على تراثهم وهويتهم التي نقلوها إلى الأماكن التي هجروا إليها، حيث قدموا ما لديهم من فنون معمارية وغيرها للبلاد التي استقروا فيها.

تأثر واسيني الأعرج في روايته هذه برواية "دون كيخوته" التي كتبها صاحبها لنقد المجتمع سياسيا واجتماعيا وأدبيا، يقول واسيني الأعرج " دون كيخوته، هو كتابي

[1] واسيني الاعرج ، **البيت الاندلسي**، منشورات الجمل، بيروت 2010، ص 130.

[2] المرجع نفسه، ص 223.

الحيوي، يتغير معي باستمرار في حالة وجدانية دائمة"[1] ، وقد حاول من خلالها التعبير عن كيفية الحفاظ على الثقافة التاريخية التي تركها الأندلسيون في الجزائر من خلال شخصية "غاليلو" الذي وظفه رمزا ليعالج من خلاله قضية المثاقفة، وكيفية الحفاظ على الموروث الذي انتهكه أصحابه، حيث ركز الكاتب على "غاليلو" وما مر به من معاناة وضغوطات من طرف الكنيسة وكيفية تهجيره أثناء وجوده بالجزائر إبان الحكم العثماني، وقد استمرت هذه المعاناة وامتدت الى أبنائه وأحفاده لقرون عديدة وسبب ذلك يعود إلى البيت الأندلسي الذي أنشأه "سيدي أحمد خليل" لزوجته "بلاثيوس"، وقد طلب "غاليلو" من أحفاده الحفاظ عليه" فهو لحمي ودمي، ابقوا فيه ولا تغادروه حتى ولو أصبحتم خدما فيه أو عبيدا"[2].

لم يكن البيت الأندلسي مجرد مكان جرت فيه الأحداث، بل جعله الكاتب عنوانا لروايته، فكان بمثابة الفضاء العام لنصه، لصلته الشديدة بالأحداث والشخصيات، وفي المقابل اتخذه أيضا مسارا سلبيا لما ترتب عنه من نتائج مؤلمة ومأساوية، فعلى الرغم من صمود "مراد باسطا" حفيد "غاليلو" وحفاظه على تراثه وتراث سلالته (البيت الاندلسي) إلا أنه هزم في آخر المطاف بعدما ظل يصارع وحده تلك القوى الجائرة وهنا إدانة مضمرة من قبل الكاتب بشكل أو بآخر لبعض صناع الماضي والمتحكمين في الحاضر، فإن لم يستفق المسؤولون وأصحاب المراكز العليا سيعيد التاريخ نفسه ليصبح الحاضر ماضيا شبيها بالماضي الأول[3].

لقد أعاد واسيني الأعرج بعث تاريخ مجيد وعريق لكنه مقتول، اندثرت معه الهوية الوطنية المفقودة والتي تمسكت بها شخصيات الرواية على الرغم من الضغوطات والمعاناة التي واجهتها وقد اختار الكاتب شخوصه من منطلق تاريخي بعضه يعود للحقبة العثمانية، والبعض الآخر خليط من التاريخي والمتخيل متنقلا من عصر لآخر منوعا في الأمكنة

[1] المصدر نفسه ، ص 223.

[2] المصدرنفسه، ص 200.

[23] ينظر احسن ثليلاني، سماح طاجين، **حضور التاريخ وتوظيفه في الكتابة الروائية** يوم 2018/05/31 الساعة 13:00 ،

التي تجري فيها الأحداث أما الزمن فنجده غير مرتب، إذ عمد الروائي إلى اتباع نهج مغاير في كتابته التاريخية للأحداث ليشكل بذلك ظاهرة حضارية تقوم على تكسر الزمن، حيث ترواح زمن الأحداث بين الفترة الأندلسية وفترة ما بعد الاستقلال في الجزائر وما حملته الحقبتين من انكسارات وتوترات ويمكن القول" إن حركة زمن المتخيل الروائي ينتظم على قاعدة تكسر زمنها الواقعي، مولدة بذلك دلالة إلى تفتت زمن الواقع المرجعي و إلى تبعثره"[1]، وبالتالي يخرج الروائي عمله من بنية تاريخية إلى متخيل قائم على العناصر الفنية للعمل الروائي.

هوامش الدراسة :

1) القاضي محمد، **الرواية والتاريخ**، مجلة فصول، ج 16، ربيع 1998.
2) الخامسة علاوي، **التاريخ وأدبيات التجريب في الرواية الجزائرية**، كلية الآداب ، قسنطينة (د.ت).
3) احسن ثليلاني، سماح طاجين، **حضور التاريخ وتوظيفه في الكتابة الروائية** يوم 2018/05/31 الساعة 13:00.
4) واسيني الاعرج ، **البيت الاندلسي**، منشورات الجمل، بيروت 2010.
5) واسيني الأعرج، **كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)** دار الفضاء الحر، الجزائر، 2004.
6) واسيني الاعرج، نوار اللوز، **تغريبة صالح بن عامر الزوفري**، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1982.
7) واسيني الاعرج، **أوهام الحقيقة**، مجلة الثقافة الجديدة، 2015.
8) يمنى العيد، **فن الرواية العربية**، دار الآداب ،بيروت،1998،ص155.
9) مسعودي العلمي، **الفضاء المتخيل والتاريخ في روايته كتاب الأمير**، شهادة ماجستير، ورقلة، 2009.2010.
10) محمد بويجرة، **بنية الزمن في الخطاب الروائي اجماليات واشكالات الابداع**، دار الغرب للنشر، وهران، 2001.
11) محسن يوسف، **نحو ملحمة روائية عربية (دراسة في مدارات الشرق)**، دار الحوار، سوريا، ط 1، 1991.
12) نبيل سليمان، **جماليات وشواغل روائية**، اتحاد الكتاب العرب، سوريا 2003.
13) نورة بعيو، اشكال وتقنيات توظيف التاريخ في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الخطاب ،العدد09، 2011،جامعة تيزي وزو.
14) سيزا قاسم ، **المفارقة في القص العربي**،مج فصول،مج2،ع2،القاهرة،1982.
15) سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 1979.
16) عبد الرزاق عيد، **الرواية والتاريخ**، دار الحوار، سوريا (د.ت) .
17) قاسم عبده قاسم، **إعادة قراءة التاريخ**، وزارة الإعلام، الكويت، ط1 2009.

[1] يمنى العيد، **فن الرواية العربية**، دار الآداب ،بيروت،1998،ص155.